داود عليه السلام

فارس الحروب وصانع الدروع

أجل معجزاته:

1- 1 - الجبال والطير تردد معه تسبيحه واستغفاره

2- {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ}.

3- 2 - ألان الله تعالى له الحديد ينصهر بين يديه فيشكله كيف يشاء فى صناعاته.

* * * * * * * * * * * *

داود عليه السلام

بعث النبى داود فى عصر طالوت، وكان طالوت من ملوك بنى إسرائيل، وكان يدين بدين موسى ويحكم اليمن وأطرافها وهو خليفة لأشموئيل.

المنقول عن حياة طالوت إنه كان راعيا لقطيع من البقر، ويوماً افتقد إحدى بقراته فأراد صاحب القطيع منه أن يعوضه البقرة المفقودة فتحير طالوت وذهب إلى أشموئيل وشرح له الحادث، فعندما عرفه صادقا فيما يقول قدم له قيمة البقرة، وبما أن أشموئيل كان يبحث عن رجل صادق ومؤمن لينصبه حاكما فاختار طالوت وقال لقومه هذا طالوت جعلته عليكم ملكا، واعترض بعضهم على هذا الاختيار بقولهم: إن طالوت من بؤساء القوم وفينا من هو أليق منه!

فأجابهم أشموئيل: إن الله سبحانه وتعالى هو الذى اختاره وأنا أنفذ أوامر الله وعلامته أنه سيعود لكم بالتابوت الذى فيه السكينه لكم، وعندما تحققت هذه العلامة آمن به الناس، أما تابوت السكينة فقد كان صندوقا قد وضع فيه موسى فى نهاية عهده أمانة بنى إسرائيل وعدد الألواح ليرجع إليها بنو إسرائيل عندما تواجههم مشاكل كبيرة، وعندما توفى موسى سرق هذا الصندوق ولا يعلم أحد أين مكانه إلى أن وجده طالوت وأعاده إليهم فتوثقت الروابط بين بنى إسرائيل وطالوت، وعندها انقادوا إلى أوامر طالوت

فكانوا يخوضون الجهاد معه المخالفين ولكنهم وبسبب عدم طاعتهم لأوامر طالوت أحسوا بالوهن فى مواجهة جيش جالوت، حيث كان جالوت ملك مقتدر ومعجب بنفسه وكان يحارب بنى إسرائيل باستمرار.

وفى إحدى المعارك قال لو أن رجلا من بنى إسرائيل يبرز إلى ويهزمنى فإننى سوف أكون مطيعا لهم، ولم تكن لأحد الجرأة على منازلته.

وكان طالوت قد أصبح هرما وضعيفا، ومع أنه قد رأى فى المنام بأنه سينتصر على جالوت، ولكنه لا يتصور كيف سيكون ذلك وفى هذه الأثناء كان داود الراعى الغريب قد جاء إلى طالوت وقال له إننى قادر على أن أتغلب على جالوت.

أما داود فقد كان راعيا رباه أبوه تربية حسنة وأوصاه بنصرة الدين، وعملا بوصية أبيه فقد أبدى استعداده لنزال جالوت، حيث كان يقول؛ إذا سمحت لى بالذهاب إلى حرب جالوت فإننى سأنتصر عليه بإذن الله تعالى، فتعجب طالوت من قول هذا الشاب وسأله من أى قوم أنت؟ فقال: من بنى إسرائيل، ولدى اخوان فى الجيش ولكننى سوف أقوم أنا شخصيا بهذه المهمة.

فسأله طالوت: يا داود إلى الآن هل اشتركت فى حرب؟

فأجابه: نعم مع الأسود والذئاب والنمور عندما كانت تهاجم أغنامى فكنت أتصدى لها وأهزمها.

فقال أخواه لطالوت: أيها الملك إن داود لا خبرة لـه فى فنون الحرب والذى كان يفعله مع الوحوش لا يمت لقواعد الحروب بصلة إنما هو شاب مغمور وهو راع فكيف يمكنه أن ينازل بطلا متمرسا مثل جالوت، إنا نخاف أن يقتله وينكس رؤوسنا. أما داود فقد كان مصرا على أنه سيقتل جالوت بضربة واحدة ولم يتطوع أحد غير داود لمنازلة جالوت.

ودعا طالوت لداود بالنصرة والغلبة وقال لـه: إننى معجب بقوة إيمانك وشجاعتك. وعندها قال لـه: خذ ما شئت من الأسلحة نظير السيف والدرع والرمح والترس.

فقال لـه داود: لا أحتاج إلى السيف والدرع والرمح إنما أنا أحارب بالمقلاع والحجارة حيث إننى احترفت ذلك ولا تخطئ إصابتى أبدا.

وفى حالة من التعجب والدهشة لدى الجيشين حمل داود مقلاعه والحجر ودخل ميدان المعركة، وكان جالوت مغرورا بقوته وسيطرته فسأل داود قائلا: يا بن إسرائيل أأنت الذى ستنازلنى؟

فأجابه داود: نعم.

فسأله: وبأى سلاح؟ فأجابه: بهذه الحجارة التى فى يدى.

فقال جالوت مستنكفا ؛ إن الملوك لا يقاتلون بالحجارة.

فقال داود: أظن أننى لا أحتاج إلى أكثر منها فى نزالك.

فقال جالوت: أنا أأسف على أن أقتلك فإنك شاب مغرور.

فقال داود: أما أنا فلا أأسف على قتلك إذا لم تؤمن بالله.

فغضب جالوت وقام بحركة أجابها داود بضربة فى صدره بالحجارة فهشمت صدره وسقط صريعا فسلم جيشه لطالوت، وتعجب طالوت من الحجارة ومن فعلها.

فقال داود: إننى لم أقتل جالوت ولكن الله قتله؛ ولأن جيش طالوت شاهد هذه الرجولة من داود فإنهم أحبوه وكرموه وأخذوا يأتمرون بأمره.

وكان داود ذا صوت جميل إذ يتلو التوراة، وهو أول من علم الناس صناعة الدروع والحديد، ولأن المحاربين كانوا يلبسون الدروع التى يصنعها داود فإنهم يصبحون أشد عزيمة فى الحرب، وأصبح بنو إسرائيل أعزة فى أيام داود، وبعد فترة دب الحسد إلى قلب طالوت فانقلب على داود ولكنه قتل على أثر ذلك واستتب الوضع والسلطة لداود.

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: **{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم**

مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [1].

وعندما بعث داود نبيا وجاء بالزبور كتابا تولى قيادة قومه على أحسن ما يرام، وكانت لداود ثلاث كرامات أولها الصوت الجميل حيث كانت تقف الطيور عن الحركة عند سماع صوته والثانية أن كتاب الزبور قد نزل عليه.

والثالثة: أن الله ألان له الحديد كما يلين الشمع. وكان كل ما يصنعه من الحديد أقوى من صنع الآخرين.

وصار لداود أولاد كثيرون أصغرهم وأحبهم إلى قلبه سليمان فقد كان ذكيا ذكاء خارقا وحكيما وعابدا، وإذا ما حكم على شيء فإن حكمه أعدل من الجميع. وفى حياة داود نصب سليمان على كرسى القضاء فأخذ يقضى بين الناس فيما يختلفون فيه وكان

(1) سورة البقرة الآيات: 247 - 251.

قضاؤه مقرونا بالحكمة، وقد حكم يوما بين امرأتين فى قضية مولود ادعت كل منهما بأنه ولدها ولم يقدر أى شخص بالقضاء بينهما وعندما رأى سليمان بأن الاثنتين ليستا على استعداد لأن تتنازلا عن ادعائهما بأمومة الطفل، دعا الجلاد وأمر بأن يقسم الطفل إلى نصفين لكى يعطى كل منهما نصفا، ولكن الأم الحقيقية صرخت عندما سمعت بقرار الحكم بأن ابقوا على الطفل سالما وأعطوه للأخرى.

فقال سليمان: الآن صار معلوما من هى الأم الحقيقية فالأم هى التى لا ترضى بأذية ولدها، ومن ذلك اليوم عرف سليمان بالحكيم.

وعندما بلغ عمر داود مائة سنة جاءه جبرائيل وأعطاه صندوقا وقال له: يا داود فى هذا الصندوق شيئا إسأل أولادك عنه وكل من يعلم بما فى الصندوق فسيكون خليفتك. فجمع داود بنى إسرائيل جميعا وأحضر أولاده وكانوا خمسة عشر ولدا أصغرهم سليمان فسأل داود من أولاده أن ماذا فى الصندوق؟

ولم يجب أى منهم إلا سليمان فإنه نهض وقال: أتمنى أن تكون فى الصندوق ثلاثة أشياء:

الأولى: الخاتم، الثانية: سوط، الثالثة: كتاب حكمة وعندما فتحوا الصندوق وجدوا فيه مثلما قال فقال جبرائيل: إن هذا الخاتم من الجنة وصاحبه تقضى له كل حاجة يطلبها.

أما السوط فإنه من نار جهنم وكل شخص يمسكه فسوف يطيعه الجن والإنس وكافة الخلق وهذا المكتوب فإنه حكمه وكل شخص يتعلمها سيكون مطلعا على كل شيء وكلها ستكون ملكا لسليمان فإنه كان يتمناها من الله سبحانه وتعالى.

وانتخب سليمان ملكا، وأما داود فإنه سلم وصيته لسليمان وعندما توفى دفن فى بيت المقدس.

داود عليه السلام وما أوتى من المعجزات:

هو [1]: داود بن إيشا بن عويد من نسل يهوذا بن يعقوب كان مبدأ أمره أن الله تعالى لما بعث طالوت ملكا خرج من بنى إسرائيل معه ثمانون ألفا لقتال جالوت فقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فلم يثبت معه غير ثلاثمائة عشر وكان فيهم داود وثلاثة عشر ابنا له وداود أصغرهم والتقى الجيشان وبرز جالوت مناديا للقتال فخرج إليه داود عليه السلام وكان جنديا فى الجيش الذى خرج مع طالوت:{...وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ...} [2] وحينما جاء وقت النبوة:{...وآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء...} [3].

كان [4] داود عليه السلام نبيا ملكا ولقد آتاه الله عز وجل من هباته ونعمه الكثير من ذلك: أنه كان رسولا صاحب كتاب إنه الزبور

(1) التبصرة للإمام ابن الجوزى، ط الحلبى، تحقيق د / مصطفى عبدالواحد.
(2) من الآية رقم (251) من سورة البقرة.
(3) من الآية رقم (251) من سورة البقرة.
(4) فى رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور / عبدالحليم محمود (كتاب اليوم).

وهو كتاب من كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه وإذا كان نبينا إبراهيم عليه السلام قد أوتى صحفا وأوتى موسى عليه السلام الألواح فيها التوراة فإن داود عليه السلام أوتى الزبور وآتاه الله سبحانه وتعالى صوتا جميلا، وهو منحه فى غاية النفاسة وجمال الصوت عند داود ليس على المعنى العادى الآلى فى الأنغام والألحان ونسبها المحددة ليخرج الصوت جميلا. لقد كان هذا عند داود ولكن كان بقدرة الله عز وجل ومن فضله على نبيه داود عليه السلام الذى آتاه له.

نحن إذن [1] أمام معدن بشرى من لون خاص إنسان بلغ من شفافية النفس والتجرد أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات، وهذه من منح الله الجليلة وهباته على عبده ونبيه داود عليه السلام ومن الهبات التى منحها الله لداود عليه السلام أيضا هبة القوة يقول سبحانه: **{**...وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ...**}**[2]، والأيد: القوة. لقد كان داود عليه السلام قويا فى كل ما يأتى من الأمور لقد كان قويا فى أمور العبادة وهذا هو المراد هنا على ما ذكره أكثر المفسرين.

فى الصلاة والصيام وغيرهما، وقد ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى**»[3].

(1) أنبياء الله: لأحمد بهجت، ط دار الريان للتراث.
(2) من الآية رقم (17) من سورة ص.
(3) رواه الشيخان والإمام أحمد.

ولذلك اصطفاه الله عليه السلام وجعله نبيا ووهبه كثيرا من الآيات والمعجزات...

معجزة تسخير الجبال والطير لداود للتسبيح معه :

قال الله تعالى:{... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [1].

يخبر [2] الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوى العدد والعدة وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات.

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال: «**أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود**».

إن الأصوات الجميلة تمتزج بأرواح قائليها وكلما صفت الروح وكلما تزكت النفس وامتزجت بالغناء والترتيل كان الصوت أجمل وكانت جاذبيته أقوى. وكلما كان الشعور مرهفا، وكان

(1) الآيات رقم (17 - 20) من سورة ص.
(2) تفسير ابن كثير: ط دار المعرفة، بيروت.

الحس متأثرا بما يقال كان الصوت أكثر تأثيرا.

وما كان داود عليه السلام يشعر بنفسه وهو يرتل الزبور ويتغنى به وإنما كان فنيا فيما يعبر عنه من كلمات الزبور إنه كان مستغرقا فى الزبور - أى أنه كان مع الله وهو يتغنى بكلمات الكتاب المقدس بل كان فانيا فى الله جل جلاله لقد كان يتغنى ويبكى لقد كان زبورا مترنما فكان لحنا ربانيا. ويعبر القرآن الكريم فى - صورة جميلة - عن تأثير داود البالغ أثناء تغنيه وهو سبحانه وتعالى يسمى ذلك تسبيحا فيقول: **{إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ}** [1] ويقول سبحانه أيضا: **{...يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...}** [2] ويقول سبحانه: **{...وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}** [3].

ولقد تابع المفسرون القرآن الكريم فى الحديث عن صوت داود عليه السلام فيقول الإمام الأوزاعى: حدثنى عبدالله بن عامر قال: (أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى إن كان الطير والوحش يعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا وحتى أن الأنهار لتقف). ويقول الإمام ابن كثير: (وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحد بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه

(1) من الآية رقم (18، 19) من سورة ص.
(2) من الآية رقم (10) من سورة سبأ.
(3) من الآية رقم (79) من سورة الأنبياء.

وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا)[1].

فلم تكن الجبال وحدها هى التى تسبح معه بل كان الطيور والوحوش والأشجار تشترك فى التسبيح. ولم يكن صدق داود هو وحده المسئول عن تسبيح الجبال معه أو الطير، لم تكن عذوبة صوته هى المسئولة عن تسبيح بقية الكائنات معه إنما كان هذا معجزة من الله له كنبى عظيم الإيمان صادق الحب لله ولم تكن هذه وحدها كل معجزاته إنما أعطاه الله تعالى معها فهم لغة الطيور والحيوانات أيضا وكان داود عليه السلام إذا أعطاه الله شيئا وعلمه إياه أو أعطاه معجزة زاد فى حبه لله تعالى وزاد من شكره لله وزاد من إيمانه بالله وزادت عبادته لله حتى أصبح يصوم يوما ويفطر يوما.

عن يحيي بن كثير قال: كان داود عليه السلام يأمر أن يخرج له منبرا إلى البرية ويأمر سليمان أن ينادى يستقرئ البلاد وما حولها من الغياض والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى الرهبان من الصوامع والأديرة وتأتى العذارى من خدورها ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل كل صف على حده قال: وسليمان قائم على رأسه قال: فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فيموت طائفة من الناس وطائفة من السباع والهوام والوحوش

(1) تفسير ابن كثير.

وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات ثم يأخذ فى ذكر الموت وأهوال القيامة ثم يأخذ النياحة فيموت من كل صنف طائفة، فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموت ناداه: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الرهبان ومن الوحوش فيقطع النياحة ويأخذ فى الدعاء ويغشى عليه فيحمل على سرير فإذا أفاق قال لسليمان: ما فعل فلان وفلان فيقول ماتوا فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه وينادى: أغضبان أنت على داود يا إله داود أم كيف قصرت به أن يموت خوفا منك.

قال علماء السير: كان داود عليه السلام قد اتخذ سبع حشايا من شعر وحشاهن بالرماد ثم بكى حتى أنفذها دموعا ولم يشرب إلا ممذوجا بدموع عينيه.

معجزة إلانة الحديد لداود عليه السلام وصنع الدروع:

يقول سبحانه وتعالى:{... وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [1].

وقد ذكر [2] الحافظ ابن عساكر فى ترجمته لداود عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبى إلياس عن وهب بن منبه ما مضمونه: أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه خيرا فى عبادته وسيرته

(1) من الآيتان (10، 11) من سورة سبأ.
(2) تفسير ابن كثير: ج 3، ط دار المعرفة بيروت.

وعدله عليه السلام. قال وهب: حتى بعث الله تعالى ملكا فى صورة رجل فلقيه داود عليه السلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال: ما هى؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعنى بيت المال. فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل فى الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغنى به ويغنى به عياله فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها.

قال الحسن البصرى رضى الله عنه وقتادة والأعمش: كان لا يحتاج أن يدخل الحديد النار ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط.

وقال ابن عباس: صار عنده كالشمع والرأى الراجح أنه عليه السلام أعطى قوة يثنى بها الحديد [1].

ومن الثابت أن الله عز وجل ألان الحديد لداود بمعنى أنه كان أول من اكتشف أن الحديد ينصهر بالنار ويمكن تشكيله آلاف الأشكال.

ولم يتحقق ذلك لداود إلا لحب الله سبحانه وتعالى له وليظهر فى قومه وكانت مشكلة قومه هى كثرة الحروب فى زمانهم وكانت الدروع الحديدية التى يصنعها صناع الدروع ثقيلة فتمنع المحارب أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد.

(1) تفسير القرطبى: ط دار الكتب العلمية، بيروت.

وقد ورد أن داود عليه السلام جلس يوما يفكر فى هذه المشكلة وأمامه قطعة من الحديد يعبث بها بيديه ثم اكتشف فجأة أن يده تغوص فى الحديد - ألانه الله تعالى له - فراح يقطعه ويشكله قطعا صغيرة يصلها بعضها ببعض حتى إذا انتهى كان أمامه درع من الحديد.

فهذه هبة من هبات الله تعالى لعبده داود ويعبر عنها القرآن الكريم بقوله سبحانه:{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}[1].

ولقد علمه الله سبحانه وتعالى صناعة الدروع لتقى المحاربين من سهام الأعداء ويقول سبحانه وتعالى:{... وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [2].

ويقول [3] عكرمة ومجاهد وغيرهما فى قوله تعالى:{...وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ...} أى لا تدق المسمار فيغلق ولا تغلظه فينفصم، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى علمه صناعة الدروع فى إجمالها وتفاصيلها وكانت صناعة الدروع مهنته التى كان يتكسب منها لعيشه.

وبدأت المصانع تعمل فى صناعة الدروع الجديدة وتسليح جيشه بهذه الدروع السابغة التى بهرت جيش الأعداء بإتقانها. وهو

(1) الآية رقم (80) من سورة الأنبياء.
(2) الآيتان رقم (10، 11) من سورة سبأ.
(3) فى رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور / عبدالحليم محمود.

رغم ما كان فيه من ملك وأبهة ورغم ما كان تحت يده من مال كثير كان يعيش من عمل يده.

ولقد ذكره رسول الله ﷺ كمثل كريم للكسب الحلال. فقال: **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبى الله داود كان يأكل من كسبه»** (1).

ولقد أوجب الإسلام فى الكسب أن يكون من حلال وحث على ذلك بشتى الطرق ومن ذلك ما رواه ابن مردويه بسنده - عن ابن عباس - قال: (تليت هذه الآية عند النبى ﷺ **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً}** فقام سعد بن أبى وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفسى محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى بهِ).

وفاة داود عليه السلام:

يقولون إن داود عليه السلام مات فجأة وشيع جنازته يومئذ ألف راهب فى أرديتهم التقليدية مع آلاف غيرهم من الناس ولم يمت فى بنى إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه من داود.

وآذت الشمس الناس فدعا سليمان الطير قال: أظلى على داود

(1) رواه الإمام البخارى.

فأظلته حتى أظلمت عليه الأرض وسكنت الريح وقال سليمان للطير: أظلى الناس من ناحية الشمس وتنجى من ناحية الريح وأطاعت الطير فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان.

من حكم داود عليه السلام:

لقد روت كتب التفسير وكتب التاريخ شيئا من حكمه من ذلك ما رواه عبدالله بن المبارك فى كتابه الزهد: أنبأنا سفيان الثورى عن رجل عن وهب بن منبه قال: (إن فى حكمة داود: حق على العاقل أن لا يغفل أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يصغى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه لعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات. وحق على العاقل أن يعرف زمانه، ويحفظ لسانه، ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا فى إحدى ثلاث: زاد لمعاده ومرمة لمعاشه، ولذة فى غير محرم.

ومن حكمه أيضا: يا زارع السيئات تحصد شوكها وحسكها.

ومن أجمل ما روى عن داود أنه قال: يارب كيف أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك. فأتاه الوحى أن يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى؟ قال نعم يارب قال: فإنى أرضى بذلك منك.